العقبي وموقفه من الزوايا والطرقية المنحرفة

(1888 ــ 1960م)

أ.بن حميميد فتيحةطالبة سنة ثالثة دكتوراه

جامعة ابو القاسم سعد الله

–الجزائر 2

الملخص :

يعتبر الشيخ الطيب العقبي رائد من رواد الإصلاح في العالم العربي والإسلامي عامة والجزائر خاصة خلال القرن 20 م ، وجبهة منيعة في وجه الاستعمار الفرنسي الهادفة إلى طمس معالم الشخصية الجزائرية الإسلامية ، وسيف من سيوف الإسلام المسلولة ضد الزوايا والطرقية الضالة ، بخطه وشعره ومقالاته الناقدة نقدا لاذعا لاشك ولا جدل فيه ، وعالم من علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الساعية إلى تطهير الدين الإسلامي الحنيف من الشوائب والبدع والانحرافات ، ظل الرجل وفيا لأفكاره ومبادئه ووطنه حتى اختطفته أيدي المنون و ظلت أفكاره سراجا وهاجا لكل مصلح وحب للوطن والإسلام .

Résumé

Cheikh Tayeb OKBI est considéré l'un des pionniers de la réforme dans le monde arabe et islamique en général et en Algérie en particulier au cours du 20ème siècle. Il n'était pas seulement une digue infranchissable face au colonialisme français qui a visé à déformer et éliminer l'identité algérienne mais un homme de religion qui défendait l'islam aussi contre l'ignorance, par sa production littéraire et critique. En outre, il a été un des savants de l' l'Association des savants(Ulémas) musulmans algériens qui cherchaient à purifier la religion islamique des impuretés et des hérésies. Il était resté un homme fidèle à ses idées, à ses principes et à sa nation jusqu'à son décès. Mais ses pensées sont restées comme un phare pour toute personne aimant la patrie et l'Islam.

Abstract

Sheikh Tayeb OKBI is considered as one of the pioneers of reform in the Arab and Islamic world in general and in Algeria in particular during the 20th century. It was not only an impassable barrier to French colonialism that aimed to distort and eliminate the Algerian identity, but also a man of religion who defended Islam against ignorance, through its literary and critical production. In addition, he was one of the scholars of the Association of Algerian Muslim scholars (Ulema) who sought to purify the Islamic religion of impurities and heresies. He remained a faithful man to his ideas, his principles and his nation until his death. But his thoughts remained as a beacon for anyone who loves his homeland and Islam.

مقدمة :

رافقت الهجمة الاستعمارية العسكرية والسياسية والاقتصادية هجمة ثقافية ودينية شرسة هادفة إلى ابتلاع الجزائر أرضا شعبا ودينا ،بإصدار مجموعة من المراسيم والقوانين ، فكانت الجزائر نموذجا حيا للتغريب .

أجبر ذلك رجال عظام أنفين على الدين والوطن الوقوف في وجه السياسة التغريبية التجهيلية الاستعمارية ، فكان الشيخ الطيب العقبي رجل من رجالات الإصلاح الصامدين الصامدين في وجه هذا الهجمة ، نقادا" لاذعا" للزوايا والطرقية الضالة .

فمن يكون ؟ وفيما تجلت نشاطاته واهتماماته الإصلاحية ؟ وما موقفه من الطرقية الضالة ؟.

المولد والنشأة :

هو الطيب بن محمد بن الحاج صالح الشهير بالطيب العقبي ، مواليد عام 1888 ببلدية سيدي عقبة ومنها اكتسب لقبه [1] [2]، فهو من مواليد العقد الذي ولد فيه عدة عظماء أمثال ابن باديس ، الإبراهيمي و الأمين العمودي [3]، ينحدر العقبي من عائلة إبراهيم من أولاد عبد الله عشيرة من قبيلة الأوراس الكبرى أولاد عبد الرحمن ، من أصل أمازيغي يمسى اليوم بالشاوية [4] من عائلة متوسطة عرفت بالورع والتقوى [5] .

أمضى العقبي طفولته الأولى بمسقط رأسه في بيئة بدوية شبه صحراوية محافظة على أصالتها العربية الإسلامية بعيدة عن المؤثرات الخارجية ، تلقى بها تعليمه إذ دخل الكتاتيب القرآنية في سن مبكرة على غرار تقاليد المنطقة ،[6] هاجر في سن السادسة مع أسرته إلى الحجاز سنة 1895 [7] للحج والاستقرار هروبا" من الاستعمار وسياسته ، إذ استقرت بادئ الأمر بالمدينة المنورة [8].

دخل الكتاب بالمدينة المنورة ولازم حلقات العلم ، فحفظ القرآن ودرس فن التجويد وبرز في علوم اللغة والشريعة ، إذ تتلمذ على يد أساتذة كبار أمثال الشيخ عبد الله زيدان الشنقيطي والحبيب التونسي وحمدان الونيسي ، فأظهر نبوغا" وذكاء لا نظير له فسطع نجمه وأصبح مدرسا" للعلوم الشرعية واللغوية في الحرم النبوي [9].

نشاطه بالمشرق العربي:

تشبع العقبي بمختلف المعارف والعلوم الدينية والأدبية ، مكتسبا التحليل العلمي

متربعا" على مكانة مرموقة في المجتمع الحجازي فقد كان له دور بارز بين مصلحي المنطقة ، فكان معلما" في الحرم النبوي ، منكبا" على كتابة المقالات الثورية وإقراض الشعر ، ما مكنه من تكوين صداقات مع أنظاره المصلحين أمثال شكيب أرسلان [10]، علما أن دروسه زامنت عصر القومية العربية والجامعة الإسلامية، فلقن مبادئها ومفاهيمها لتلامذته أمثال التمبكتي [11].

دخل العقبي معترك الحياة السياسية في الحجاز ، فقبيل الحرب العالمية الأولى انغمس في الكتابات السياسية حتى قامت الثورة العربية 1916 ،أبعدته السلطات العثمانية من الحجاز إلى الأناضول لسنتين [12] بحجة انتمائه ودعمه لأفكار القومية العربية [13] ، وبعد عودته إلى الحجاز قربه الشريف حسين وسلمه إدارة المطبعة الملكية لمطبعة الأميرية وإدارة صحيفتها القبلة [14].

عودة العقبي للجزائر ونشاطه بها :

عاد العقبي لمسقط رأسه ــ بسكرة ــ (1920م ــ 1335 هـ) بعمر 27 سنة ، بعد أن قضى ستة عشر (16) سنة في الحجاز ، في التكوين والتفقه في العلوم الشرعية واللغوية ، فأصبح موسوعة علمية متنقلة تريد أن ينهل الوطن والأمة الإسلامية ككل من علومها[15]، الأمر الذي تفطنت له الإدارة الاستعمارية فأثار عودته إزعاجها متيقنة بخطورته على وجودها وأهدافها ، ما دفعها إلى اعتقاله لشهرين ، إذ أطلق سراحه بتدخل أخواله آل خليفة والسيد ابن غانة [16] .

انتصب الشيخ للدعوة إلى الله وإصلاح أحوال الأمة الجزائرية بإلقاء الدروس والوعظ لطلبة العلم وعامة الشعب متخذا" مسجد بكار منبرا" له [17]، ومن الدروس التي كان يلقيها كتاب " الجوهر المكنون " وكتاب " القطر " في النحو لطلبة العلم أما العامة فكانت في التفسير ، بالإضافة إلى مجالسه الأدبية في جنينة البايلك ، إذ استهوت دروسه عدة مثقفين أمثال الأمين العمودي ومحمد العيد آل خليفة [18].

انتصب اهتمامه على محاربة البدع والخرافات و أباطيل الطرقية الضالة ومواجهة الملحدين وكل مخلفات الاستعمار و مفاسده ، ما أثار العامة والطرقيين وعملاء الاستعمار ، غير أن هذه العراقيل لم تزده إلا عزيمة وإصرار على مواصله مساره الإصلاحي ، حتى تفتحت له قلوب العامة والتف حوله طائفة من الشباب ملازمين له [19].

تيقن العقبي بأهمية الصحافة في يقظة الأمة وإيصال أفكاره ومبادئه إلى قاعدة عريضة من الشعب فأصدر جريدة " **صدى الصحراء** " الأسبوعية ،والتي صدر عددها الأول (1925 م ــ 1344 هـ)، صدر منها 13 عدد فقط [20]،عكست شعاراتها أهدافها في ملاحقة البدع وتعقب الطرقية [21]، ثم أصدر جريدة إسلامية أدبية باسم " **الإصلاح** " وصدر عددها الأول (1927 م ــ 1346 هـ) [22] بتونس لفقدان وسائل الطباعة العربية ، وبتعرضها للمضايقة من الإدارة الاستعمارية توقفت عن الصدور ، ما أجبر العقبي على تركيب مطبعة بسيطة وبدائية ببسكرة بأموال المتطوعين أسماها " **المطبعة العلمية** " ، فكانت الإصلاح إحدى جرائد الانبعاث الفكري والنهضة الإصلاحية والثورة القلمية [23].

كانت طريقة العقبي في الدعوة الإصلاحية هي نفسها عند ابن باديس ، يقوم تدريسه على العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية ، وعظه يهتدي بالقرآن الكريم والحديث النبوي ، وبرز اسمه بصفة خاصة في الخطابة ، إذ يؤكد أحمد توفيق المدني بأنه كان خطيبا مصقعاً من خطباء الجماهير عالي الصوت سريع الكلام حاد العبارة موضوعه المفضل هو الدين الصافي النقي ومحاربة الطرقية ونسف خرافاتها [24].

الشيخ العقبي ونشاطه داخل جمعية العلماء المسلمين :

تأسست في 5ماي 1931 بنادي الترقي هيئة جمعت قوى الإصلاح في الجزائر سميت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على يد نخبة من المصلحين الجزائريين أمثال ابن باديس و الإبراهيمي والعربي التبسي ، وكان العقبي أحد الرواد والأقطاب المؤسسين والمسيرين وأحد الأعمدة الذين قامت على كواهلهم هذه الحركة المعجزة من أول يوم برزت فيه سراجا وهاجا في سبيل الوطن والإسلام، فأمدها بكل ما يملك من جهد وتضحية وعطاء [25]، فعين مساعد للكاتب العام [26].

كان العقبي لسانها الحاد الذي ينشر دعوتها في ناحية تشتد فيه ظلمات الاستعمار و أهواله أكثر ، فقد عرف واجبه وواصل جهاده في الوعظ والإرشاد وتعزيز جمعية العلماء حتى التف حوله أعيان مدينة الجزائر فعززوه وأكرموه وأجلوه [27] ، متخذا" نادي الترقي منبراً لإلقاء محاضراته العلمية باللغة العربية إضافة إلى دروس دينية واجتماعية تعالج أمراض ومشاكل المجتمع الجزائري في

ضوء القرآن والسنة [28]،كما أشرف على تحرير جرائدها الأولى السنة ، الشريعة والصراط رفقة محمد السعيد الزاهري [29].

تمكن العقبي من استقطاب العديد من الأنصار لحركته الإصلاحية من خلال تواصل نشاطه الدعوي في نادي الترقي بعد تعميق الهوية العربية الإسلامية وتعزيز الوازع الثقافي وإحياء اللغة العربية وجعلها لغة الخطابة والحوار والتعامل ، وقد وصف الشيخ محمد ابن الحاج الطرابلسي بعد زيارته للعاصمة الوضع الذي أصبح عليه نادي الترقي بفضل العقبي قائلا :

نادي الترقي في
الجزائر عامر بالوعظ
والتذكير والإرشاد

ناد به العقبي
عقباه النجاة من
الجهالة أصل كل فساد

نادي به القرآن يتلى
والحديث وقول أصحاب النبي الهادي[30]
.

أثار نشاط العقبي الدءوب قلق الإدارة الاستعمارية وغضب المحافظين الجزائريين ، فلجأت فرنسا إلى إغرائه باستمالته إليها بمنحه منصب المفتي العام للديار الجزائرية أو مفتي باريس ، إلا أنه رفضه مفضلا مواصله مساره الإصلاحي وفق منطقه [31]، وبرفض العقبي المنصب بدأت المكائد والدسائس تسلط عليه فأتهم باغتيال المفتي كحول في 2 / 8/ 1936م ، إذ اقتيد إلى سجن بربروس وسلط عليه أنواع من الإهانات[32] غير أن العقبي واجه القاتل بإيقاظ الروح الدينية فيه بقوله " اسمك محمد وتكذب على أمة محمد " ما أجبره على الاعتراف بجريمته وببهتانه وادعاءاته [33].

أثرت هذه العقبات والأزمات المتتالية على نفسية العقبي وأجبرته على التخفيف من نبرته ونشاطه والتحلي بالحذر والاحتياط [34] ، الأمر ابرز جليا" في طلب العقبي من ابن باديس توجيه الجمعية برقية ولاء وتأييد للحكومة الفرنسية سنة 1938 م ، قابله بن باديس بالرفض فأجابه العقبي :" **إن هذا واجب أدبي أكيد فأنا لي ستة أولاد أحافظ على مصيرهم**" مؤكدا" تقديم استقالته من مجلس الإدارة للجمعية في حال الرفض[35] .

نشاط العقبي خارج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

إن استقالة العقبي من مجلس إدارة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، لا يعني التخلي عن مبادئها بل ضل وفيا لمبادئه الإصلاحية بمحاربة البدعة ومناصرة السنة [36]، فأول ما قام به بعد الانسحاب تأسس جمعية دينية باسم " **الإصلاح الإسلامي** " وأصدر جريدتها الإصلاح الثانية (1939 ــ 1942) علما" أن نبرته اتجاه الحكومة الفرنسية تغيرت فأصبح لا يعارضها بل يعمل على إقناعها بأن الإيمان بالإسلام لا يتعارض من المواطنة الفرنسية [37].

ظل الشيخ العقبي يلقي دروسه ومحاضراته بنادي الترقي ، بل سعى جاهدا" لخروج الجمعية من النادي واحتكاره لنفسه ،علما" أن علاقته مع رجال الإصلاح الحقيقيين ظلت حسنة ، ولم يكن العقبي متعاونا" ولا متواطئا" مع الإدارة الاستعمارية ولكنه ظل رجل إصلاح منذ انفصاله عن الجمعية يدعو إلى تحسين أوضاع المسلمين الدينية والثقافية والاجتماعية [38].

ويرى أحمد توفيق المدني أن الشيخ العقبي لم يتجاوب مع الثورة الجزائرية بل صادمها إلى أن توفي فريدا" وحيدا"،إلا أن دبوز يناقضه في اتهامه إذ أكد أن العقبي استمر في نضاله الإصلاحي الوطني يعد خروجه من جمعية العلماء المسلمين وأن مدينة الجزائر وجماهير من المناطق المجاورة سارت في جنازته [39].

موقف الشيخ العقبي من الزوايا والطرقية المنحرفة :

مثلت الزوايا والطرق الصوفية حاجزا" منيعا أمام زحف الاستعمار وتوسعه لسنوات في شكل ثورات ومقاومات قادها شيوخ زوايا ، ومع إحساس الاستعمار بفعالية هذه الطرق على تحريك الشعب ودفعه نحو المقاومة والجهاد ، عمل على اختراقها واستمالتها لسير في فلكه بخدمته وأهدافه ، فتحولت مع الزمن إلى معول من معاول الاستعمار بنشر بدع وخرافات لا علاقة لها بالدين الصحيح ، فكان العقبي أول من تصدى لهم [40].

رأي العقبي في أفكارهم وتصرفاتهم خروجا" عن الدين الإسلامي الحنيف ، فتميز بتشدده على البدعيين والخرفيين من خلال مقالاته في صحيفة الإصلاح التي قال فيها الإبراهيمي :" **أخف وقعا وان كانت مقالاتها أسدى مرمى وأشد لذعا**" " [41] ، كما عبرت

مقالاته في جريدتي المنتقد والشهاب عن موقفه من السلفية والبدعة موقفا صريحا محججا ، لا يقبل النقاش مبرزا" بعد الأمة عن تعاليم دينها الصحيح تحت وطأة الطرقية وزيغها عن الصراط المستقيم والسوي [42] مؤكدا أنه "**حين نقاومها نقاوم كل شر و بالقضاء عليها نقضي على كل باطل ومنكر وضلال وأنه لن يتم أي إصلاح في أي فرع من فروع الحياة مع وجود هذه الطريقة المشئومة مع مالها من سلطان على الأرواح والأبدان ومع ما فيها من فساد للعقول وقتل للمواهب** " .سجل مؤتر جمعية العلماء 48

استخدم العقبي في حربه ضد الطرقيين مواهبه الشعرية لإبراز آثارهم ، وتجلى ذلك في قصيدته المشهورة " إلى الدين الخالص " تعبيرا عن غضبه وتطلعه في الإصلاح بقوله :

ماتت السنة في هذي البلاد
قبر العلم وساد الجهل ساد

وفشا داء اعتقاد باطل
في سهول القطر طرا والنجاد (مريوش 73)

فدعى العقبي زملائه في الإصلاح والإرشاد إلى التعاون وإتباع طريق السلف الصالح لبلوغ الهدف فنشر في مجلة الشهاب الأسبوعية سنة 1927 م قصيدة بعنوان " عليكم بنهج الصالحين مما جاء فيها :

هلم بنا يا قوم نحو العلا نرقى
لتجديد دين الله فهو الذي يبقى

ودونكم أهل الغواية والردى ففيهم
وعيد الله لاشك قد حقا

أناس دعوتكم للظلال وناصبوا ذوي العلم والتقوى العداء لهم حمقا[43] .

كما جرت عدة جولات بين العقبي وبعض رجال الطرقية الضالة فكتب عدة مقالات وقصائد ذات لهجة حادة وبألفاظ نزيهة متمسكا بآداب الحوار والجدل ، منتهجا" أسلوب النصح أحيانا فيقول :" **أتمنى أن يحول بعض أرباب الزوايا ورؤساء هذه الأماكن الدينية إلى ملاجئ خيرية ومدارس أخلاقية يكون الغرض الوحيد منها نفع العموم لا نفعهم خاصة وبذلك يكونون قد سلكوا طريق مشايخهم وآبائهم الأقدمين** " [44].

وقف العقبي وقفة صارخة للطرقية ينعى عليها انحرافها ومتاجرتها بالدين بل تعزز هذا الانحراف الديني بانحراف معاصر فأصبح الشعب بمقاومته الروحية ممزقا بين رجعية منحرفة وتقدمية ملحدة ، بين جيل يشدها إلى عصر الظلمات وتيار يقذفها مهاوي المادية البوهيمية.

بدار
بدار الطرق
العلا فلا
تبتغوا عن طريق أبوابها طرقا

فما الطرق في هذا
الزمن مجادة ولكنها
يبغي بها
أهلها الرزق

تجارة
قوم عاجزين
بسبيلهم سبيل ضلال
جانبوا العلم والصدق

وشيخهم
الأتقى لولي بزعمه
إذا رأى مالا أمال
له
عن قا 45 .

كشف العقبي حقيقة الطرقيين من نشاطاتهم والمتمثلة في نهب أموال شعب أعزل مغلوب على أمره واثق فيهم ،ففضح العقبي أمرهم في قصيدة بجريدة الشهاب سنة 1927 قائلا :

فما الطرق في الزمان
مجادة ولكنها يبغي بها أهلها
الرزقا

تجارة قوم عاجزين سبيلهم
سبيل ضلال جانبوا العلم والصدقا (العقبي 75)

حمل الشيخ العقبي الطرقيين افساد المجتمع وابتعاده عن الدين والحط من أخلاقه وتشجيعهم على الرذائل والفجور والفسق والاختلاط وانفراد شيوخها واختلائه بالنساء ، فعبر العقبي عن الوضع المزري بقوله :

متى ألقهم أبض شياطين فتنة ويا
ليت أني لا أراهم ولا ألقى

وقد أولعوا بالفسق سرا وجهرة
فحيث تراهم تبصر الخبث والفسقا (خرفي 286)

ردت الطرقية على حرب العقبي فأعلنت عليه حملة دعائية وكلامية لاسيما الطرقية العليوية معتبرة إصلاحه كفرا وزندقة

وخروجا عن الإسلام بعد خروجه من الحجاز ، فسخرت له أقلامها ، فاتخذت من جريدة البلاغ الجزائري منبرا ولسان حالها ، فدخلت معه في معارك كلامية ، مصرحة أن مجيئه للجزائر بهدف إثارة الفتن والتحريض لا خدمة الإسلام والمسلمين (مريوش 75، 76)

لم تكن الطريقة العليوية هي الخصم اللدود الوحيد للعقبي بل وقف في وجه أيضا المبتدعين بمنطقة الزيبان ، فأخذت في تحريض أتباعها على ضرورة التخلص من العقبي باغتياله ، وتفطن العقبي لمكائدهم فرد عليهم في جريدة الشهاب سنة 1926 م بقوله " كنت أعتقد و أجزم بأن ما حوته تلك القصيدة هو أن عقائد الشيخ عاشور وحده ولذلك أسميتها بالعاشورية لا غير واليوم علمت فقط – فقلت ربي زدني علما – أن في البلاد عواشير كثيرة ".(مروش 80)

إن الهجمة العنيفة على الطرقية جعل بعض مشايخها وأتباعها ومريديهم يفزعون إلى بعضهم البعض ويهرعون إلى الشيخ بن باديس للعمل لوقف هذا السيل الجارف عليهم وعلى نفوذهم [46]، مستغلين العلاقة الحسنة بين المصلحين ، فحاول الشيخ ابن باديس إخماد نار الصراع بين العقبي ورجال الطرقية فأصدر بيانا في جريدة الشهاب بعنوان " في سبيل الوفاق " معلنة للقراء اضطرارها لإغلاق الباب ، فتيقن العقبي أن الباطل دبر الأمر وفسره بأنه علامة على ضعف أهل الحق وأعلن مقاطعة جريدة الشهاب .(العقبي 81 82).

تفطن العقبي لأهداف الطرقية وانعكاسات الخلاف مع العقبي إضافة إلى ضغط عدة مصلحين ، وعلى ذلك سافر ابن باديس إلى بسكرة حيث اتصل بالعقبي لإقناعه والتحاور معه عن أسلوب الإصلاح إلا انه فشل في ذلك ، وتوج مساعي بن باديس باقتناعه بموقف العقبي المدعم بالحجج والبراهين ، فعدل ابن باديس عن غلق عمود العقبي في الجريدة ، علما ابن باديس سعى لجمع شمل صف الإصلاح واستقطاب أكبر عدد ممكن في بحر العمل الدعوي لكن العقبي رأي في ذلك التنازل نجاحا لأهل الضلال على حساب أهل الحق وأن الأمر تضليل لحركة التجديد الإسلامي في الجزائر (العقبي 83).

استمر العقبي في حربه ضد الطرقيين فقد نشر في جريدة السنة سنة 1933 مقالا تحت عنوان " نهضة الجزائر اليوم ودعوتنا

الإصلاحية ، أكد فيها تسببهم في انحطاط الجزائر وخروجها من عصر المجد والعزة إلى حضيض الجهل قائلا " **... وان عملوا باسم الدين فإنما للحيلة وصيد أموال المساكين وقد علموا ظاهرا من الحياة الدنيا وكانوا عن الآخرة من الغافلين .. ووقع في حبائل مكرهم واشراك كيدهم بعض الخاصة فاستظار شرهم في البلاد فأكثروا فيها الفساد وعظمت الفتنة بين العباد ...**" جريدة السنة العدد 2 ، السنة الأولى ، 17 أفريل 1933.

وأكد في نفس المقال السابق مهمة رجال الإصلاح الحقيقيين العاملين بشريعة الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا " **لهذا حاول الذين تنبهوا من أفراد هذا الشعب التقصي والخروج من ربقة أولئك الرؤساء المبتدعين والاستعاضة بنور العلم عم ظلام تقاليدهم وتشاريعهم الجائرة الزائفة عن محجة الطريق والتي لا تلتئم مع أي شريعة ولا أي دين ...**" المرجع السابق .

لم تبقى للعقبي نفس اللهجة الحادة التي عرف بها خلال العشرينات والثلاثينات ولعل ذلك يعود إلى التعارف العميق على التركيب الاجتماعي والديني للجزائريين إضافة إلى انتشار صدى الحركة الإصلاحية وتهذيب الأفكار الضالة وتقليص أعمال الشعوذة وقد يكون الطابع السياسي الأثر الواضح في أسلوب التعامل لدى العقبي الذي أصبح يبحث عن التكتل المناصر له لأن مرحلة الأربعينات اتسمت بالصراع السياسي أكثر من اتسامها بالصراع الديني مثلما كان الشأن خلال الثلاثينات وقد برز العقبي في اجتماع الخيرية سنة 1940 م موقفه المعتدل من الاتجاه الطرقي فقال " **أمام أرباب الزوايا والمرابطين فلهم فكرهم واعتقادهم و لنا فكرنا واعتقادنا وحرية الاعتقاد والضمير حق مشاع بيننا وبينهم ... وإذا كانت فكرتنا غير فكرهم فإننا نبني على ذلك أنهم لنا أعداء ونحن الذين لم نعاد اليهود ولا النصارى بل استطعنا أن نصانعهم ونتصافى ونتصافح معهم وهم على غير ملتنا الإسلامية وشريعتنا المحمدية**"[47].

ومن الممكن أن العقبي قصد بذلك تكوين وحدة وتقارب مع عدة أطراف ، الأمر الذي عبر عنه بقوله " **لا شك أن هؤلاء إلينا أقرب(الطرقيون) والتفاهم معهم متى خلصت النية وانتهى العناد وأصبح متيسرا و متعذر وأن لا يكن هذا التفاهم فكل يعمل على شاكلته ... ولنا في إصلاحنا برنامج ديني**

لا نعدوه إلى معـــاداة الطـــرقيين في أشخاصـــهم ..." مريوش / ص 384.

زار العقـــبي المدرســـة الكتانيـــة صـــيف 1947 بـــدعوة مـــن صـــاحبها الشـــيخ ابـــن الحملاوي ، الأمر الذي عـــبرت عنـــه جريـــدة الإصلاح قائلة : "**أن العقبي سافر مع وفـــد لـــه من الجزائر إلى مدينة قسنطينة تلبية لدعوة أتتـــه من الرجل الصالح المصلح العـــام الشـــيخ بـــن الحملاوي بمناسبة احتفال الكلية الكتانيـــة بختـــم دروس سنتها الأولى " مريوش 385.**

حلل الأستاذ الباحث أحمد مريـــوش ســـبب الزيارة وخلفياتهـــا ، فأكـــد أن زيـــارة العقـــبي للمدرسة الكتانيـــة تـــدخل في إطـــار مســـاندة الكتانية ضد معهد ابن باديس للمنافســـة بينـــهما ، اظافة الى مؤازرة شيخها الـــذي وســـع دائـــرة التعليم وفتح المجال للطلبة بعد عجز معهـــد ابـــن باديس عن استقبال كل الراغبين وبراويـــة أحـــد المعاصرين ان زيارة العقبي انتـــهت بخيبـــة أمـــل كون مواطني قســـنطينة توجهـــوا الى الكتانيـــة وعارضوا زيارة العقبي واســـتنكروا خطبـــة ابـــن الحملاوي كما منعوا العقبي من القـــاء خطبتـــه . مروش 385.

وفاته :

أصيب الشيخ العقبي بمرض الســـكري ســـنة 1958م ، وأثر على صـــحته إذ لازمـــه ثـــلاث سنوات إلى أن أطرحـــه الفـــراش مجـــبرا" إيـــاه التخلـــي عـــن نشـــاطه الإصـــلاحي وتوقفـــت دروسه بنادي الترقي وتـــرك الجمعيـــة الخيريـــة ومدرسة الشبيبة الإسلامية ، ورغـــم مرضـــه إلا أنه ظـــل علـــى توجيهاتـــه لمســـيرة الإصـــلاح الجزائرية [48].

وقبل وفاته أوصى الشـــيخ بكيفيـــة تشـــييع جنازته فقال :" **إليك وصيتي وأدعوكم جميعـــا" للاحتفاظ بها وتنفيذها ووصية الميـــت واجـــب تنفيذها ":**

أن تدفنوني في المقبرة الشعبية في بينام .

أن تشـــيعوا جنـــازتي تشـــييعا" ســـنيا" لا بدعة فيه .

أن تضعوا معي في قـــبري حجـــرين اثـــنين أحضـــرتهما بنفســـي في رحلـــتي الأخـــيرة إلى البقاع المقدسة .

أن لا تسمحوا لأي أحـــد مـــن الحاضـــرين لتشييع جنازتي الأقربين منها والأبعـــدين بإلقـــاء أي كلمة تأبين أو رثاء على جثماني فكـــل هـــذا لا ينفعني عند ربي "[49] .

توفي الشيخ في الواحدة بعد الزوال يوم 21 ماي 1960 م (أول ذي الحجة 1379 هـ) عن عمر 72 سنة بالعاصمة ، وعلى اثر وفاته قدمت لعض الشخصيات الدينية والسياسية تعازيها لعائلته، علما" أن رجال جمعية العلماء لم تقدم تعازيها ، و لم يحضر علمائها جنازته ، كما لم يعثر علة خبر وفاته أو تأبينه أو رثائه في الجرائد الجزائرية ولعل ذلك عائد إلى سوء التفاهم الواقع بينه وبين الجمعية [50].

مشت في جنازته مدينة الجزائر والجماهير التي تمكنت من الوصول من المدن المجاورة حيث كانت الثورة على أشدها والقيود الاستعمارية صعبة ولولا ذلك لأتى الناس من كل فج عميق إلى العاصمة وحزنت الجزائر والمغرب لوفاة هذا السراج الوهاج وحزنت حزنا" شديدا"[51] .

وما قيل في الشيخ العقبي أنه كان شخصية فريدة متناقضة مشاكسة خطيبا" مصقعا" من خطباء الجماهير عال الصوت سريع الكلام حاد العبارة يطلق القول كجواد جامح دون ترتيبا أو مقدمة أو تبويب أو خامة وكان موضوعه المفضل الدين الصافي النقي ومحاربة الطرقية ونسف الخرافات[52] .

الخلاصة :

إن أهم ما نستخلصه في هذه الدراسة الملخصة عن الشيخ العقبي هو :

دور البيئة الحجازية في البناء الفكري والديني والأخلاقي للشيخ العقبي .

إن الشيخ العقبي عمود من أعمدة الإصلاح في الجزائر ، منحها روحه وعقله وماله .

وقوف الشيخ في وجه أعداء الدين (الطرقيين) موقف صرامة وصراحة فكان لسانه سليطا صارما صريحا عليهم بخطه وشعره ومقالاته .

---

[1] مراد علي : **الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر (1925 ــ 1940)** ، تر:محمد يحاتين ، دار الحكمة ، الجزائر : 1999، ط 2 ، ص 108 .

[2] أحمد الخطيب :**جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1995 ، دط ، ص 158.

[3] الكريم بوصفصاف : **جمعية العلماء المسلمين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى** ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، ب ت ،د ط ، ص 241.

[4] قاموس الثورة الجزائرية 1954ــ 1962 ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2007، ص 241.

[5] المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، الرؤية ، العدد 2 ، السنة الأولى ، ماي ــ جوان 1996 .

[6] أحمد مريوش : **الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية** ، دار هومة ، الجزائر ، 2007 ، ط 1، ص 29 .

[7] بوصفصاف ، المرجع السابق ، ص 72.

[8] Mahfoud Kaddache : **la vie politique a Alger 1919 a 1939** , ENAG Edition , Alger,2009,p237

[9] دبوز محمد على : **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة** ، ج 2، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، 2007 ،ب ط ، ص 106 ،107 .

[10] الخطيب ، المرجع السابق ، ص 158.

[11] مريوش ، المرجع السابق ، ص 43.

[12] خرفي صالح : **الجزائر والأصالة الثورية** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ب ت ، ب ط ، ص 80 .

[13] أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية الجزائرية** ، ج 2، دار البصائر ، الجزائر ، 2009 ،ط 6، ص 392 .

[14] عمار هلال : **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين 19 و 20 م** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، 1995 ،ب ط ، ص 344 .

[15] مريوش ، المرجع السابق ، ص .

[16] دبوز ، المصدر السابق ، ص 108 .

[17] مريوش ، المرجع السابق ، ص .

[18] المرجع نفسه .

[19] دبوز ، المصدر السابق ، ص 109

[20] عبد المالك مرتاض : **نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925 ــ 1954)** ، الشركة الوطنية للنضر والتوزيع ، الجزائر ، ب ت ، ب ط ، ص 109.

[21] محمد بن صالح ناصر : **الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954** ،ج 2، المحمدية ، الجزائر ، 2006 ،ط2، ص 94.

[22] Kaddache , op ,cit, p 237 .

[23] ناصر ، المرجع السابق ، ص 94 .

[24] الخطيب ، المرجع السابق ، ص 159.

[25] محمد الطاهر فضلاء : **الموسوعة التاريخية للشباب ،الطيب العقبي رائد حركة الإصلاح الديني في الجزائر** ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة ، الجزائر، ب ت ، ب ط ، ص 58.

[26] مريوش ، المرجع السابق ، ص 145.

[27] دبوز ، المصدر السابق ، ص115.

[28] رابح تركي : **التعليم القومي والشخصية الجزائرية** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 ، ب ط ، ص ، 232.

[29] محمد خير الدين : **مذكرات خير الدين** ، موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2003، ط2، ص 48.

[30] مريوش ، المرجع السابق ، ص 132.

[31] نفسه ، ص، 136.

[32] محمد البشير الإبراهيمي : **آثار محمد البشير الإبراهيمي** ، ج 1، دار الغرب الإسلامي ، 1997 ،ط 1 ،ص 276 .

[33] مريوش ، المرجع السابق ، ص 240.

[34] أبو عمران الشيخ وآخرون: **معجم مشاهير المغاربة** ،منشورات حلب ، الجزائر ، 2000، ب ط ، ص 323.

[35] بو الصفصاف ، المرجع السابق ، ص 76 .

[36] مريوش ، المرجع السابق ، ص 271 .

[37] بو الصفصاف ، المرجع السابق ، ص 79

[38] مريوش ، المرجع السابق ، ص 272 .

[39] الخطيب ، المرجع السابق ، ص 163 .

[40] كمال عجالي : **الفكر الإصلاحي في الجزائر ، الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة و التجديد** ــ، الجزائر ، ب ت ، ب ط ، ص 54.

[41] محمد الصالح رمضان : **شخصيات ومواقف جزائرية** ، دار الحضارة ،ب ت ، ب ط ،ص 44.

[42] فضلاء ، الموسوعة التاريخية ، المرجع السابق ، ص 47 .

[43] بسام العسلي : **عبد الحميد بن باديس وبناء قواعد الثورة الجزائرية** ، دار النفائس ،الجزائر ، 1982 ، ط 1، ص 183 .

[44] عجالي ، المرجع السابق ، ص 55.

[45] خرفي ، المرجع السابق ، ص 286.

[46] فضلاء ، الموسوعة التاريخية ، المرجع السابق ، ص 47 .

[47] مريوش ، المرجع السابق ، ص 384.

[48] المرجع نفسه ، ص 356.

[49] محمد الطاهر فضلاء : **من آثار الأستاذ فضلاء محمد الطاهر** ، ONDA ، 2010، ب ط ، ص 184.

[50] دبوز ، المصدر السابق ، ص 123.

[51] المصدر نفسه ، ص 124.

[52] البصائر ، العدد 36 ، السنة الأولى ظن 25 سبتمبر 1936 ، ص 282.

البيبليوغرافيا :

1ـــ المصادر :

الإبراهيمي(محمد البشير) : **آثار محمد البشير الإبراهيمي** ، ج 1، دار الغرب الإسلامي ، 1997 ،ط 1

دبوز (محمد على) : **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة** ، ج 2، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، 2007 ،ب ط .

خير الدين (محمد) : مذكرات الشيخ خير الدين ، ج 1، مؤسسة الضحى ، الجزائر ، 2002، ط 2 .

البصائر ، العدد 36 ، السنة الأولى ظن 25 سبتمبر 1936

2ـــ المراجع :

أ : بالعربية :

بن صالح ناصر (:محمد): **الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954** ،ج 2، المحمدية ، الجزائر ، 2006 ،ط2.

بوصفصاف (الكريم) : جمعية العلماء المسلمين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، ب ت ،د ط .

تركي (رابح): **التعليم القومي والشخصية الجزائرية** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 ، ب ط .

خرفي (صالح): **الجزائر والأصالة الثورية** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ب ت ، ب ط.

الخطيب(أحمد) :**جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1995 ، دط ، ص 158.

خير الدين(محمد) : **مذكرات خير الدين** ، موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2003، ط2،

رمضان (محمد الصالح): **شخصيات ومواقف جزائرية** ، دار الحضارة ،ب ت ، ب ط .

سعد الله (:أبو القاسم) **الحركة الوطنية الجزائرية** ، ج 2، دار البصائر ، الجزائر ، 2009 ،ط 6.

الشيخ(أبو عمران)وآخرون: **معجم مشاهير المغاربة** ،منشورات حلب ، الجزائر ، 2000، ب ط .

عجالي (كمال): **الفكر الإصلاحي في الجزائر ، الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة و التجديد** ـــ، الجزائر ، ب ت ، ب ط .

العسلي (بسام): **عبد الحميد بن باديس وبناء قواعد الثورة الجزائرية** ، دار النفائس ،الجزائر ، 1982 ، ط 1.

فضلاء (:محمد الطاهر): **الموسوعة التاريخية للشباب ،الطيب العقبي رائد حركة الإصلاح الديني في الجزائر** ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة ، الجزائر، ب ت ، ب ط .

فضلاء (محمد الطاهر): **من آثار الأستاذ فضلاء محمد الطاهر** ، ONDA ، 2010، ب ط .

مراد (علي) : **الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر (1925 ـــ 1940)** ، تر:محمد يحاتين ، دار الحكمة ، الجزائر : 1999، ط 2 .

مرتاض (عبد المالك) : **نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925 ـــ 1954)** ، الشركة الوطنية للنضر والتوزيع ، الجزائر ، ب ت ، ب ط

مريوش(أحمد) : **الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية** ، دار هومة ، الجزائر ، 2007 ، ط 1،.

هيلال (:عمار) **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين 19 و 20 م** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، 1995 ،ب ط .

قاموس الثورة الجزائرية 1954ـــ 1962 ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2007،

المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، الرؤية ، العدد 2 ، السنة الأولى ، ماي ـــ جوان 1996 .

ب ـــ بالأجنبية :

Mahfoud) : **la vie politique a Alger 1919 a 1939** , Kaddache(ENAG Edition , Alger,2009,

إن لسان العقبي الحار ومواقفه الصارمة جعلته مستهدفا من السلطات الفرنسية بجدية تارة وبتدبير المكائد تارة أخرى .

إن مكائد الأعداء المتتالية والخطيرة من الإدارة الاستعمارية ساهمت في تغيير مسار تعامله فتحول من المعاداة إلى أسلوب المهادنة .

واصل العقبي مساره الإصلاحي بعد خروجه من جمعية العلماء المسلمين بتأسيس جمعية الإصلاح الإسلامي .

إن الشيخ العقبي لم يكن واثقا من نجاح الثورة الجزائرية .

بقي شيخنا معزولا منطويا على نفسه مريضا بداء السكري إلى أن خطفته أيدي المنون نسيا منسيا .